

الفكر العربي المعاصر وقضية التراث

- الحلقة الأولى - بقلم : الباحث محمد الرزقي*

تمهيد : تعتبر مسألة التراث، من أهم إشكاليات الفكر العربي المعاصر، والذي أنيطت بعهدته، مهمة بلورة معنى للهوية، وصياغة إجابات، لما ينبغي للمجتمعات العربية أن تتبناه، حتى تخرج من مرحلة السكون والاستقالة، فشغلت قضية التراث، جميع المثقفين العرب دون استثناء، طوال قرن من الزمن، واعتبرت هذه القضية، مصدر الدواء، وممكن الداء، حسب تباين أطروحات هؤلاء المفكرين.

فمتى بدأ الاهتمام بقضية التراث؟ وما الذي حولها إلى إشكالية مركزية في الفكر العربي المعاصر، وجعلها تستحوذ على كل هذا الاهتمام؟ وما هي المواقف المسجلة من قضية التراث ؟ وما معنى التراث أصلا ؟ وهل نستطيع الظفر بتعريف جامع مانع لهذا المصطلح؟

I- العوامل التاريخية التي تقف وراء الاهتمام بمسألة التراث:

بدأ الاهتمام بمسألة التراث منذ أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، وانطلق تحديدا بعد الهزائم المتلاحقة للجيوش العثمانية أمام القوى الأوروبية الصاعدة مثل النمسا وروسيا وبولونيا وهولندا .

فأصل هذا الاهتمام مرده الأساسي التراجع العسكري وما خلفه

* صدرت له مجموعة من الكتب عن دار سنابل للنشر بسلطنة وهي: تصوف الحارث المحاسبي (2005)، حقيقة الموت عند الصوفية (2006)، ظهور الروح (2007)، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية وصدرت الطبعة الأولى سنة (2008).

من مخاوف، خاصة أن الخلافة العثمانية أبرمت جملة من الاتفاقات، تتخلى بموجبها عن أجزاء واسعة من ممتلكاتها، وأول هذه الاتفاقات كانت اتفاقية كارلوفتر¹، والتي مثلت سابقة في تاريخ الدولة العلية، إذ لأول مرة يتنازل السلطان، بصورة رسمية عن أراضي عثمانية ليفتح بذلك باب التنازلات على مصراعيه، وليحير الباب العالي على عقد اتفاقيات أخرى مهينة.

وقد ازداد الاهتمام بقضية التراث اتساعا، خاصة بعد حملة بونابرت على مصر²، وبذلك أصبح العالم العربي والإسلامي مهددا³، من قبل أطراف خارجية ترنو للتوسع والشراء، وهو ما فحر أسئلة عديدة، صيغت في سؤال عميق، وهو أن الهزيمة ليست راجعة لتخلف عسكري أو إداري بل إلى تفكك فكري، عاجز عن مواجهة المجتمعات الأكثر رقيًا، فوضع التراث أحيثها موضع نقد وتمحيص، وتساءل أهل الفكر حول جدوى الاعتماد على التراث.

هل أنه يمثل الترياق الشافي لمجتمعات تعاني معضلات معقدة؟ وهل يمكن أن يكون التراث منطلقا للمعرفة والقوة أم أننا بحاجة لنكشف مصادر أخرى نستمد منها المعرفة والقوة الحديثتين؟

فطرح قضية التراث، كان الغاية منه التعبير عن حاجة الأمة إلى التحديد والنهوض، وإن لم تستيقظ من غفورها، فهي مهددة بالذوبان

1- أبرمت هذه المعاهدة سنة 1699.

2- دامت حملة نابليون بونابارت من سنة 1798 إلى سنة 1801، وانتهت بفشل عسكري.

3- التهديد صار واقعا، إذ تم مثلا احتلال تونس سنة 1881، مصر 1882، السودان 1899، المغرب 1906.

الحضاري والاندثار، فأساس الإسهام في الحضارة الكونية، يعتمد على الانطلاق من الخصوصيات الثقافية لتأسيس وعي بديل يحرر المجتمعات العربية تحريراً حقيقياً، مما أصابها تبعية من وتجزئة، وتأخر في المستويين الفكري والتاريخي.

وهكذا يمكننا القول أن بداية الجدل والسجال حول مسألة التراث، يعود إلى الصدمة الحضارية، التي وعى بها " المثقفون " في أواسط القرن التاسع عشر، والتي نشأ من تحت ركنهما، ما سمي في ذلك الوقت فكر النهضة، وقد ازداد هذا السؤال الحاحاً بعد احتلال فلسطين سنة 1948 ، وهذه المرحلة الأولى لظهور الجدل حول قضية التراث في الفكر العربي المعاصر.

أما المرحلة الثانية التي اجتهد فيها الجدل حول مسألة التراث، فكانت عقب هزيمة "جوان" 1967¹ والتي خلفت أثراً بالغاً في الوعي العربي الإسلامي، إذ صدم العقل العربي صدمة عنيفة، جعلته يدرك أنه لم يكن مستعداً لمثل هذا الحدث الجلل، إضافة إلى اكتشافه أنه عقل حالم، لم يرتب الأولويات بحسب ما يقتضيه الواقع الموضوعي بل اعتمد على الشعارات فاخذته الحماسة بعيداً. لذلك كانت الحية مريرة، لأنها لم تكن منتظرة، فصار الكل منشغل بهذا المبحث، حتى ذهب البعض إلى حد القول أن الأمر يتعلق بظاهرة مرضية أصابت المثقفين العرب¹.

فطرح قضية التراث كان مرتبطاً دوماً بظروف تاريخية عvisية

¹ - محمد عبد الجباري، التراث والحدث، ص 15، المركز الثقافي العربي، ط1 دت.

مرّت بها الأمة، مما يجعل مفهوم التراث يرتبط بنظرة كلّ طرف لهذا التراث، تبعاً لتوجهه الفكري وميولاته السياسية والايديولوجية وتأثير الواقع فيه، وهو ، وهو ما يدفعنا لتبيين هذه المواقف حتّى يتسنى لنا الوقوف على حقيقة التراث.

فما هي المواقف المعلنة من قضية التراث؟ وهل يمكننا أن نأتي عليها جميعاً؟ وهل نستطيع صياغة تعريف عام وشامل للتراث، ينقذنا من السقوط في هاوية التفاصيل؟ فما التراث؟

II- ماهية التراث.

1- التراث لغة:

تعتبر لفظة التراث من الناحية الصرفية مصدر، وأصلها ورث، أو وراث، فأبدلت الواو تاء، لأنها أجلد من الواو وأقوى، فالتراث والإرث والورث، مترادفة، وقيل الورث والميراث في المال والإرث في الحساب¹.

والحسب هو مفاخر الآباء والأجداد، وشرف الفعال التي يرثها الفروع عن الأصول ويتغنون بها، وهي المتعلقة أساساً بالجانب المعنوي. وقد وردت كلمة التراث في القرآن الكريم مرة واحدة بمعنى الميراث، في قوله تعالى: «وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا»². ومعنى التراث في هذه الآية أنّه مال مات عنه صاحبه³، كما وردت لفظة التراث في

¹ - لسان العرب، ص 15/189. دار صادر بيروت ط3/2004

² - الفجر: 19.

³ - راجع محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 30/334. دار سحنون. د.ت

السنة بمعنى يفيد الميراث أيضا، إذ عاجلت معظم الأحاديث التي ورد فيها لفظ ميراث، مسائل تتعلق بتقسيم التركة ونصيب الورثة¹.

(2) - التراث اصطلاحاً:

لعلّ التعريف اللغوي والاصطلاحي، يلتقيان في معنى الانتقال، فالتراث اصطلاحاً يتمثل في انتقال السمات الحضارية أو الثقافية لمجتمع معين، من جيل إلى جيل عن طريق التعلم والتعليم، وتسمى بالتراث الحضاري أو الثقافي أو الاجتماعي.

والتراث الحضاري ظاهرة إنسانية عامة تشترك فيها كل مجتمعات وأمم الأرض، وكل أمة أو مجتمع لها تراثها الحضاري والثقافي من جهة، ومن جهة أخرى هناك تراث إنساني عام تشترك فيه كل الأمم والمجتمعات ويختص الجنس البشري بأكمله، لأن الإنسان يتميز عن الحيوانات، بقابلية اللغة والتفكير والعمل، في حين يفتقد الجنس الحيواني لأي تراث، ويختص فحسب بانتقال الميراث البيولوجي² فالتراث يعتبر "حصيلة حضارية جمعت بالعلم والعمل وبجهود فكرية وقوى بدنية، وفيه الأدبي والروحاني والوجداني والذهني، وفيه المادي، ونقول اليوم التقني أو الفني"³. وهو المعبر عن شخصية الأمة في ماضيها وكذلك في حاضرها وربما في مستقبلها.

وعموماً فإن مصطلح التراث في الفكر العربي، يعني ما أنتجه

¹ - الموسوعة الفلسفية العربية ص 1/245 منشورات معهد الانماء العربي

ط1/1968

² - راجع إبراهيم الحيدري، مادة تراث، المعجم الفلسفي، ص 1/245.

³ - محمد حسين فنطر، منزلة التراث في نهضتنا القومية ص 31

السلف زمن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، فهذا اللفظ تحاط به هالة من التمجيد، تحجب وتعسر على الباحث إمكانية اكتشاف حقيقته باعتباره "أن مفهوم التراث يخضع لمصادر وتصورات إيديولوجية مسبقة"¹، لذلك يصعب التسليم ببراءة مثل هذه التعريفات، نظرا لسيطرة التصورات الإيديولوجية والأحكام الماقبلية، على أنماط تفكير أصحابها، لكن ليس أمام الباحث المجد إلا عرض هذه التعريفات والتي هي في حقيقة الأمر مواقف معلنة من قضية التراث والحرص على تبويبها في نطاق تيارات، أكثر من التركيز على المفكرين الأفراد، وإن كان لكل تيار قطب رحي يعتمدون عليه وتطغى تصوراته على بقية الآراء.

(III) - المواقف المعلنة من قضية التراث:

إن المواقف المعلنة من قضية التراث، [المواقف](#) متباينة ومتعددة، تستطعن كل منها مفهوما خاصا للتراث، كما أن كل موقف يضم عدة تيارات غير متجانسة فيما بينها، وإن كانت تجتمع تحت مسمى واحد، وعموما فإن المواقف المسجلة من قضية التراث، لا تخرج عن ثلاث اتجاهات، بوبتها حسب ظهورها وأهميتها.

فالإتجاه الأول هو الإتجاه الفلسفي، الذي يتشعب بالتراث، وينقسم هذا الإتجاه إلى قسمين، الجناح الأول تمثله الحركة الوهابية²، والسُنوسية³، باعتبارهما إتجاه سلفي خالص، يعطي مكانة كبرى

¹ - الموسوعة الفلسفية العربية، مصطلح التراثية ص 2/308،

² - نسبة إلى محمد عبد الوهاب (1703-1792).

³ - نسبة إلى محمد السنوسي (1865-1935).

للتراث الديني، ويعادي كل معطى أو مكسب آخر بما في ذلك السيارة والهاتف¹.

والجناح الثاني، ومثله حركة الإصلاح، والتي يتزعمها كل من الأفغاني² وعبد³، والطهطاوي⁴، والكوكي⁵، وغيرهم.

أما الاتجاه الثاني الرافض للتراث فقد تزعمه جملة من المثقفين الدارسين بأوروبا أو المنبهرين بها ونجد على رأس هؤلاء طه حسين وسلامة موسى.

وآخر هذه الاتجاهات ظهورا اتجاه الدراسة النقدية للتراث والذي تزعمه خاصة محمد عابد الجابري ومحمد إقبال.

1- موقف المتمسكين بالتراث.

يعدّ التيار السلفي بمختلف موجاته، أفضل معبر عن هذا الموقف، الذي يرى أنّ ماضي السلف، يجب أن يشكل قاعدة الحياة، بالنسبة للمجتمعات العربية والإسلامية، وبالتالي فهم يدعون إلى الاقتداء بالسلف الصالح والتمثل به في العادات والمعاملات، مع الحرص على تنقية الدين من الشوائب التي علفت به، وضرورة العودة إلى الأصول، وخاصة القرآن، الذي يعتبرونه أساس الدين، بل هو الدين كله حسب رأي محمد رشيد رضا⁶، فالتراث عندهم يتمثل أساسا في الكتاب

¹ - الموسوعة الفلسفية العربية، ص 1/135

² - جمال الدين الأفغاني (1838-1897).

³ - محمد عبده (1849-1905).

⁴ - رفاعة الطهطاوي (1801-1873).

⁵ - عبد الرحمان الكوكبي (1849-1902).

⁶ - محمد رشيد رضا: 1865-1935.

والسنة، وهذا التراث يعتبرونه معيناً دافقاً لا ينضب، على المسلمين استخراج درره، بالعودة إلى قراءته وفهمه، فهم لا يعتبرونه حصيلة تاريخية، ساهمت جملة من الظروف في إيجاده وبلورة مفاهيمه وأحكامه وأنماطه، بل هو إرث يجب الاحتفاظ به كما هو دون تغيير، وبالتالي فهم يدعون للإبقاء على التراث في صورته الأولى من خلال العودة إلى المنبع والأصول، متجاهلين أن هناك فهم يتعامل مع هذه الأصول ويوجد واقع يحرك هذا الفهم وأحياناً يضغط عليه، ليوّجه وجهة معينة، فيسيغ على هذا الفهم طابع القدسية، وإن كانت بواعثه دنيوية برقماتية بحتة.

فالموقف السلفي يراهن على ماضي الأمة، خاصة الجانب الديني منه، والذي بإمكانه في تصوّرهم الإقلاع بالمسلمين، وانتشالهم من دائرة التخلف والتكوص، فتصوّرهم للتراث هو تصوّر إحيائي يقوم على استبقاء الموجود وردّ المفقود.

(2) - الاتجاه الرافض للتراث.

يعبر هذا الاتجاه عن موقف الأكاديمين الذي تأثروا بالمناهج الأوروبية، التي انتقلت إلى العالم العربي، عن طريق المستشرقين، وقد برزوا خاصة في الربع الأول من القرن العشرين.

فقسم منهم يجهل التراث العربي والإسلامي، ولم يحاول الإطلاع عليه، فنبذه جملة وتفصيلاً، ناكراً عليه أي حقيقة في قيادة الواقع المعاصر، معتبراً أن الفكر الغربي هو أساس أي حركة تقدّمية، وهو المقياس الوحيد الذي يجب أن يقاس به تقدّم الحضارات، ولعلّ أفضل

من عبّر عن ذلك الدكتور زكي نجيب محمود، الذي عاش طويلاً بأوروبا.

أمّا القسم الثاني، فهو يطالب بتجاوز شامل لهذا التراث، ويعدّ صاحب كتاب مستقبل الثقافة في مصر، من أبرز ممثلي هذا التيار إلى جانب سلامة موسى، ولعلّ من نتائج هذا التوجّه، تلك المحاولة التي ظهرت في المشرق قصد استبدال الحروف الأبجدية العربية، بحروف لاتينية تستطيع استيعاب الثقافة المعاصرة استيعاباً أعمق.

فهذا التيار يرى أنّ أساس قيام نهضة عربية شاملة، يتطلّب قطيعة تامّة مع التراث، فهو يستثنيه ويقصّه من كل مشروع تقدّمي، ويعتبر العودة إلى الماضي كابوساً مزعجاً، يقول سلامة موسى: «أن أسوأ ما أخشاه أن نتنصر على المستعمرين ونظردهم، ونتنصر على المستغلّين وندحضهم، ثمّ نعجز أن نخرج القرون الوسطى من حياتنا، فنعود إلى دعوة عودوا إلى القدماء»¹.

وبالتالي فإنّ هذا الاتجاه الرافض للتراث، يرى أنّ الفكر الأوروبي الذي يبدأ بالعهد اليوناني، مروراً بعصر التنوير ومنتهاً بالعصر الحديث، يمثّل أرقى ما وصل إليه الفكر في لحظات تطوّره، وهو ما يؤدّي إلى ضرورة نفي كلّ تراث آخر، ممّا يحتمّ على جميع الثقافات أن تؤسّس لنفسها تاريخاً جديداً مختلفاً عن خصوصياتها.

والحقيقة أنّ كلّ من الموقف السلفي، والموقف التحديثي، فيه الكثير

¹ - سلامة موسى، مقالات ممنوعة، ص 115، مكتبة المعارف ببيروت، ط 1980/4.

من المآخذ، فالذين يدعون إلى إحياء التراث بأكمله يخلعون عليه نوعا القداسة والكمال، ويفترضون فيه انسجاما موهوما، فالأسلاف لم يتركوا شيئا للأخلاق، فهؤلاء عليهم أن يعودوا إلى الوراء، ليأخذوا من أولئك أجوبة على الأسئلة التي يطرحونها، وعلى المسائل الجديدة التي تواجههم، فالسلفية تقوم على تضخيم أحد أبعاد الوجود وهو الماضي، على حساب البعدين الآخرين "الحاضر والمستقبل"، وترى فيه المبتدى والمنتهى.

أما الرافضة الذين يتنكرون للتراث والماضي القومي حملة وتفصيلا، فإن موقفهم يبدو للوهلة الأولى صبيانيا ينقصه التضج¹، ويفتقر إلى بعد النظر، فهم يعتزمون بناء العالم انطلاقا من الصفر، وابتداء من اللحظة الزاهنة، فالحاضر هو المطلق والمنتهى، فهي تدّين الماضي معلنة أنه أساس أمراض الأمة والسبب المباشر لتخلفها وعجزها واستكانتها.

لكن ما يجمع السلفية ودعاة التحديث، هو نسق منهجي واحد في التفكير، يتمثل في تلك "اللحظة العدمية" المتחסدة فيهما، فالأول يتمسك بالماضي ويلغي الحاضر، في حين أنّ التحديثيين يبنون الماضي ويتمسكون بالحاضر متطلعين إلى المستقبل بأعين حاملة.

3- اتجاه الدراسة النقدية.

يعدّ محمد عابد الجابري أحد مؤسسي هذا التيار² الذي تعدّد قراءات أصحابه، إلا أنها تتفق في جملتها على معطى أساسي يتمثل في

¹ عبد العزيز العاشوري، لماذا إحياء التراث، ص 23، مطبوعات الحياة الثقافية، دت.

² أول من نادى بهذه الفكرة محمد إقبال.

أن الحضارات المختلفة، خاضعة لما يسمى تاريخية الحضارة، أي أن لكل منها شروط ازدهار واكتمال من بينها شرط الارتباط بالتراث. فهذا الاتجاه يسعى إلى التحلي بالموضوعية قدر الإمكان، ويقف موقف وسط بين تيارين يغاليان في قبولهما لهذا التراث أو رفضه، فرفض التراث بالكلية يتنافى وكل أسس الموضوعية وقواعد البحث العلمي ويكابر في رفض الواقع التاريخي. أما قبوله دون تحفظ، فهو يلغي دور العقل ويحجب الإنسان عن عصره بنقله إلى عصور أخرى ماضية.

وفي الختام، يمكننا القول، أن الماضي جزء من الحاضر، وما زال فاعلا في الوجدان والواقع، ويعدّ محفزا للتفكير في صياغة تصوّر لواقع مستقبلي جديد ومتميز، يحقق المعاصرة للإنسان العربي، ويجعله يعيش عصره ويعي بالزمان الموجود فيه خاصة أن العالم اليوم يتميز بسرعة الحركة والتحول واتخاذ صور وأوضاع لم تكن مألوفة¹ بالنسبة لأشخاص مازالوا يعانون من مشاكل الصرف الصحي والامية. فقدّم العقل العربي مشاريع عدة لتحقيق المعاصرة للذات العربية ولتحقيق ثورة اجتماعية ومعرفية واقتصادية شاملة داخل هذه المجتمعات التي تحتضن الإنسان العربي.

فهل نجحت هذه المشاريع في التحقق؟ وهل كانت المجتمعات العربية مستعدة لتقبل مثل هذه التحولات؟ وما مصير مثل هذه المحاولات؟ وهل حقق العرب حداثتهم المنتظرة هم الذين ولجوا القرن الواحد والعشرين منذ عقد من الزمان تقريبا؟

١- مثل العولمة.

موقع المرأة بين التشريعات السماوية

والقوانين الوضعية (1)

بقلم الباحث: صالح الأحدي

طرحت مسألة المرأة بالإنفراد والتساء بالجمع ضمن معالجات متنوعة ومختلفة بحسب زاوية النظر إلى واقع الطرح الاجتماعي والثقافي والتاريخي، وهي ظروحات في جملتها تستند في الغالب إلى مرجعيات إنسانية أو دينية. فأصبحت بذلك المرأة الشغل الشاغل للعالم " فهي حضارة تعم كل بيت وأسرة ومجتمع" ولكن البحث والنظر في هذه الطروحات قد يدعوا إلى التساؤل عن سبب هذا الاهتمام، بل إن الشرائع الإلهية عبر التاريخ البشري ما فتئت تخص المرأة بأحكام، تنفرد بها وتصبح من ثمة هذه الأحكام محل جدل وخلاف بين المشتغلين بشؤون المرأة بصفة عامة، بل حتى بين رجال الدين المعتمدين في هذه المسألة المرجعية التشريعية الدينية (الموحدة في المصدر غالبا) ومن أكثر أحكام النساء شمولاً وعمقا أحكام الزواج والطلاق باعتبارهما إنشاء عقد وفسخه ويكون الرجل طرفا فاعلا في هذا العقد بل أحيانا في فسخ العقد منفردا بذلك، ومن هنا تطرح هذه الأحكام باعتبار تحديد موقع المرأة في الزواج والطلاق في نظر التشريع الإلهي والتشريع الوضعي، وأي منهما أنصف المرأة؟ بل أي منهما يصلح للمرأة؟ وما مدى استقلالية التشريع الوضعي عن التشريع الإلهي في هذه الأحكام؟

مصادر التشريع الإلهي:

1- المصادر اليهودية:

يعتمد التشريع في الديانة اليهودية على:

التوراة وهو الكتاب الذي يضم في جزء منه ما يسمى بأسفار موسى الخمسة (Pentateuque) وهي كتب: التكوين (Genèse) الخروج (Exode)، اللاويين (Lévitiques)، العدد (Nombres) والتثنية (Deutéronome).

التلمود: مصطلح يعني في المرتبة الأولى "دراسة أو تعليمًا" للفظ تلمود معاني عديدة: منها الآراء والتعاليم التي يأخذها التلاميذ عن أسلافهم لشرحها والتعليق عليها. وهو مجموعة التعاليم التي تضمنتها شروحات المعلمين ونقاشاتهم للمشناه.

المشناه: هي أول نص مكتوب في اليهودية الربائية وتقسّم المشناه إلى ستة أقسام:

- الشرائع الزراعية والأدعية.
- الأعياد.
- الشرائع المتعلقة بالنساء.
- الشرائع المدنية.
- مسائل المقدسات.
- شرائع الطهارة الطقسية.

جاءت المشناه مفسّرة الشرائع التوراتية وتحتوي على تفاسير لمقاطع أخرى من الكتاب المقدس.

الغمارا: أي التكملة وهي شرح للمشناه وهما يؤلفان التلمود، يقال أن التلمود دَوّن بين القرنين الرابع قبل الميلاد والخامس الميلاد. المدرّاش: هو طريقة في تفسير الكتاب المقدس وقد أخذ توليف المجموعات المدرّاشية حقبة امتدت أكثر من 1000 سنة.

2- المصادر المسيحية:

منها ما هو مشترك بين كل الطوائف المسيحية (الكاثوليك، الأرثوذكسو البروتستانت) ومنها ما هو مختلف حولها. المصادر المشتركة:

الكتاب المقدس (la Bible): التورات والأنجيل الأربعة: متى، مرقس، يوحنا، لوقا.

قوانين الرسل: وتعتبر التواة الأولى للفقّه المسيحي وهي في خمس كتب:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

-الديداخا: أي فقه الرسل الاثني عشر.

-الدسقيلة: أي تعاليم الرسل وأبرزها تعاليم بولس.

-المرسوم الكنسي المصري.

-القواعد الكنسية.

-القواعد الشرعية اللاحقة للصعود.

قرارات المجامع: وهي خلاصة الاجتماعات التي يعقدها رجال الكنسية بعد النقاش حول المشاكل المعروضة، لوضع الحلول لها، والقرارات الصادرة عن تلك الاجتماعات تكون ملزمة للكنائس المجتمعة. والمجامع على نوعين: مجامع عامة أو مسكونية وسميت بهذا

الاسم لأننا تضم ممثلين عن العالم المسكون وتسري أحكامها على كافة اتباع المسيحية وأهمها:

مجمع نيقية 325 م، القسطنطينية 381 م، أفسوس الأول 341 م، وأفسوس الثاني 449 م.

والنوع الثاني: المحامع المحلية وهي تقتصر على كنائس إقليم معي. مراسيم الرؤساء الدينين: وهي التعاليم التي يصدرها البطاركة والتي توجه الى الكهنة لتنظيم شؤون الطائفة.

فقه آباء الكنيسة: وهي قواعد وضعها الرهبان والآباء خاصة القدامى منهم مثل قواعد القديس باسيليوس حيث نجد فيها تحريم الزواج بالمصاهرة ، كما توجد لديه قواعد توضح العقوبات التي توقع على من يتزوج أكثر من مرة. وكذلك القديس غريغوريوس 390 م قد حرم الزواج الرابع وجعله أقرب إلى هسلتك الجنائزير.

العرف: وهو ما جرى عليه العمل بقبول وموافقة رجال الكنيسة المختصين ويعتبرا مصدرا هاما للشرعية المسيحية وقد يكون عاما وقد يتخذ طابعا إقليميا⁽¹⁾.

3- المصادر الإسلامية:

مصادر التشريع في الديانة الإسلامية فيها المتفق عليها وفيها المختلف حوله.

القرآن الكريم: هو كلام الله المنزل على رسوله المتعبد بتلاوته، وفيه

1- معدنلي هند: الزواج في الشرائع السماوية والوضعية / دار قنينة للنشر والتوزيع سوريا ط 1 سنة 2002 ص 108، 109.

النصوص القطعية في الدلالة التي تحتل معنى واحد وهي نصوص محكمة لا مجال للاجتهاد فيها. وفيه من النصوص الظنية الدلالة التي تحتل معاني عديدة وهي نصوص متشابهة تمثل مجال للاجتهاد والتأويل. ويتفق كل المسلمين على اعتباره المصدر الأساسي الأول للتشريع.

السنة النبوية : وهي ما صدر على الرسول محمد عليه السلام من أقوال وأفعال وتقريرات ويتفق المسلمون على اعتبارها مصدرا أساسيا ثانيا للتشريع مع الأخذ بعين الاعتبار مراتب السنة في الصحة والضعف، فالمعتبر هو السنة الصحيحة.

الإجماع: ويعني اتفاق أمة الإسلام بعد وفاة نبيها على أمر لم يرد فيه نص وهو مصدر أساسي عند جمهور المسلمين.

القياس: ويعني عند الأصوليين حمل الفرع على الأصل لاشتراكهما في علّة الحكم وهو مصدر لم يأخذ به كل المسلمين.

المصادر الفرعية الاجتهادية الأخرى التي ظهرت بسبب تناهي النصوص ولا تناهي الأحداث واعتمدت هذه المصادر استحابة لمقتضيات الواقع المتغير، ومن أهمها الاستحسان، الاستصحاب، المصالح المرسلة(مصلحة لم يقيد بها الشرع لا بالإثبات ولا بالنفي مثل كتابة عقد الزواج)، العرف، عمل أهل المدينة، قول الصحابي...

هذه أهم المصادر التشريعية في الديانات السماوية الثلاثة وقد أخت من قريب أو من بعيد إلى أحكام النساء عامة وأحكام الزواج والطلاق خاصة، وفي الطرح التالي لهذه الأحكام سنقتصر على ما

تيسر الحصول عليه في الكتب المؤسسة للديانات (الكتاب المقدس والقران الكريم)

II/ أحكام الزواج:

قد يوحي هذا العنوان بالحديث عن مسائل شرعية ، ولكن تتجه هذه الدراسة نحو عقد مقارنة بين ما جاء في الشرائع السماوية حول أحكام الزواج وبين القوانين الوضعية، من خلال مقابلة بين التشريع الإلهي في الكتب السماوية (التوراة- الإنجيل - القرآن) وبين هذه القوانين الوضعية لعلنا بذلك نكشف عما بينهما من تقارب أو تباعد، وحضور أحدهما في الآخر بمعنى تناسب ما جاء به التشريع الإلهي مع ما وضعه الإنسان لنفسه من تشريع، بل أبعد من ذلك قد يطرح الأمر في شكل سؤال الشكالي: هل يعتبر التشريع الوضعي المتعلق بأحكام النساء عامة والزواج خاصة هو تطبيق للتشريع الإلهي؟ أم هو مستقل عنه؟ وهل كان التشريع الإلهي مناسباً لما جاء به التشريع الوضعي؟ الزواج حقيقة عميقة في تاريخ الوجود الإنساني، ولذلك نجد في الشرائع الإلهية والوضعية عناية خاصة به، من خلال الاهتمام والحديث عن المرأة باعتبارها طرف أساسي في تكوين "الزواج".

في الشريعة اليهودية: للزواج أهداف ثلاثة "تأمين البقاء والخلود بواسطة الإنجاب، منع التوحيد والرّهبة إذ من غير المستحسن أن يعيش المرء وحيداً، وتأمين سعادة الزوجين"⁽¹⁾ ولذلك فإن الزواج أمر

1/ بنساذون ناي: حقوق المرأة منذ البداية حتى أيامنا / عويدات للنشر والطباعة / ص52. لبنان ط 1 سنة 2001

جوهري في المجتمع اليهودي لأنه يقترن بالحفاظ على النوع فهو من الكليات التي تضمن صلاح الجنس وتواصله في الوجود، انه رابطة اجتماعية تؤسس أسرة يكون الحب بين أفرادها أمر طبيعي ومشروع ويبحث التوراة على الزواج ويعتبره واجبا مقدسا على كل شاب " فخلق الله الإنسان على صورته ... خلقه، ذكر وأنثى خلقتهم وباركهم الله وقال لهم اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض أخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (1) انه أمر صريح بوجوب الزواج والتكاثر تعميرا للأرض، لذلك فإن من كان أعزبا ينظر إليه باحتقار لأنه لم يمثل إلى الواجب الديني المقدس وهو التناسل، ومن هنا فان المرأة العاقر التي لا تنجب هي في مرتبة دونية لان اكتسابها الاحترام مرتبط بوظيفتها الإنجابية لا غير. وجاء في المادة 16 من المجموعة ابن شمعون أن الزواج فرض على كل إسرائيلي، وقد جاءت الدعوة إلى الزواج المبكر محرصة الأب على تزويج أولاده وهم صغار السن، فقد ورد في المشناه: "زوّج أولادك ولو كانت يدك لا تزال على رقبتهم"، وفي سبيل تأدية هذا الواجب، فانه يمكن إكراه الشخص عليه، طبقا لما ورد في التلمود: " بأن السلطان يستطيع إكراه الشخص على الزواج، لأن الذي يعيش دون زواج حتى سن العشرين يكون ملعونا من الرب.. ولا يقال إن اليهودي قد قام بهذا الواجب إلا إذا أنجب من زواجه ذكرين وأنثى، وعلى الرجل الأعزب أن يتزوج حتى يحقق تلك الغاية.

وان أراد الزواج من امرأة عاقر، أو بلغت سن اليأس فانه يمنع من ذلك، إلا إذا كان أدى فرض التناسل المذكور⁽¹⁾.

ومن الأحكام المتعلقة بالزواج في الشريعة اليهودية انه لا يكفي بالرضا بين الطرفين، بل لا بد من توافر الشكل الديني " والمهر يعتبر من أركان عقد الزواج.. ويحرم الدخول بالمرأة قبل قبضها المهر، كما يحرم تجاوزها عنه حتى لا تضع نفسها بموضع الزوجة غير الشرعية"⁽²⁾. ويتحلى الشكل الديني للزواج في الشريعة اليهودية من خلال ثلاثة مظاهر وهي : التقديس وكتابة العقد وصلاة البركة. التقديس: "يكون بإعلان الرغبة أمام الحضور وقل الحضور شاهدين.. ولا بد من لفظ يردده الزوج أمام الحضور وهو يقدم لزوجه الخاتم أو سواه قائلا: تقدست لي زوجه بهذا الخاتم، أو بكذا أن كان شيئا آخر، مما يمتلكه الرجل" هذا عند فئة الرهبانيين من اليهود أما القرائين فإن التقديس عندهم " يكون في مجلس لا يقل عددهم عن عشرة رجال، ويقدم طالب الزواج وعلى مرأى من جميع الحاضرين المهر كله أو بعضه إلى كبير الحاضرين، حيث يقوم هذا بدوره بتسليم المهر إلى والد الفتاة أو وكيلها... ويمكن للرجل أن يلتزم بالمهر أمام الجميع دون أن يقدم شيئا"⁽³⁾ ومن رموز التقديس انه يمثل الرابط الديني بين المرأة والرجل فهو بمثابة الاتفاق المقدس لا يفك إلا بطلاق أو وفاة.

- معنلي هند: الزواج في الشرائع السماوية والوضعية / دار قتيبة للنشر والتوزيع سوريا ط 1 سنة 2002 ص 90
- المصدر نفسه ص 96²

1- معنلي هند: الزواج في الشرائع السماوية والوضعية / دار قتيبة للنشر والتوزيع سوريا ط 1 سنة 2002 ص 97

والمظهر الثالث أو الركن هو كتابة العقد الذي يضيفي الشرعية على العلاقة بين الرجل والمرأة" فقد جاء في مجموعة ابن شمعون في المادة 56: بان إقامة الرجل مع المرأة بغير كتابة عقد الزواج الشرعي، ممنوع ولو كان هناك تقديس وذكرت المادة 66 و67 من ذات المجموعة: أن كتابة العقد تشمل ذكر المهر والحقوق والواجبات الشرعية لكل من الطرفين" ثم أخيرا صلاة البركة، إعلانا بين الناس وإشهارا لهذه العلاقة الزوجية، وتقام في احتفال خاص بطقوس دينية، تبدأ بالتلاوة الدينية، ثم يقوم الرجل ويجدد يمين العهد، وبعد ذلك تبدأ صلاة البركة، حيث يبدأ بها من قام بتوثيق العقد، ثم تتكرر الصلوات والأدعية التي يشترك فيها الجميع". ومن الأحكام المتعلقة بالزواج في الشريعة اليهودية أنه يمنع إبرامه في بعض الأيام، فقد نصت المادة 51 من ابن شمعون على انه ممنوع الزواج أيام المناسبات والأعياد المنهي عن العمل فيها، سواء أوائلها أو أواخرها أو أوسطها⁽¹⁾ وهي أيام مقدسة. هذه الأحكام وغيرها المتعلقة بالزواج في الشريعة اليهودية تقوم دليلا واضحا على الصبغة الدينية التي اصطبغت بها الزواج، وللزوجة أن تدبر شؤون منزلها والزوج هو الذي يعمل في خارج البيت لإعالة الأسرة، فالنساء في المجتمع اليهودي يخضعن لسلطة الرجال وليس هن من الحقوق الاجتماعية الا ما يناسب الرجل الذي يتكفل بحمايتهن

Pourtant, la bible révèle que beaucoup d'entre elles étaient en mesure d'exercer une influence notable sur la famille, et la société.

On y découvre des mères, des prophétesses, des souveraines et des épouses....»⁽¹⁾

وفي هذا المجتمع المؤسس على أهمية السلالة والنسل يعتبر تعدد الزوجات أمراً جائزاً، إذ يمكن للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة وأن يشتري لنفسه ما يشاء من السراري

(une concubine) واختلف في التلمود حول عدد النساء اللواتي يمكن أن يتزوجهن الرجل" وكثيراً ما يتزوج اليهود الجاريات حتى أن الزوجة إذا اتضح أنها عاقر، قدمت جاريتها لزوجها حتى تنجب منه أولاد، وتنسبهم لنفسها، وهذا ما فعلته سارة زوجة إبراهيم فقد قدمت له جاريتها هاجر لأنها لم تستطع أن تلد له الأولاد وكذلك فعلت راحيل، حيث أعطت زوجها يعقوب جاريتها لتنجب له⁽²⁾ وقد يصبح الزواج ممنوعاً بسبب من الأسباب وهي الموانع الشرعية التي حددها الشريعة اليهودية. من ذلك مثلاً تعتبر الزنا مانعاً من موانع الزواج: تحرم المرأة كفاعدة عامة على زوجها إذا، زنت فيجب على زوجها طلاقها، وتحرم على كذلك على من زنا بها، ويعتبر اختلاء الرجل بإمرة متزوجة سبباً في تجريمها عليه.

في الشريعة المسيحية: كالشريعة اليهودية من قبل اهتمت بالعلاقة بين الرجل والمرأة الطرفين الرئيسيين في الزواج الذي يعتبر عندها من المقدسات فرسمت حقوق كل من الزوجين وواجباته وحشت على التناسل والإنجاب. فالزواج هو عقد يتفق فيه الرجل والمرأة على

¹ - Bowker John , Le grand livre de la bible, p112.

2- معنلي هند: الزواج في الترانغ السماوية والوضعية / دار قتيبة للنشر والتوزيع سوريا ط 1 سنة 2002 ص 99.

الارتباط ليعيشا معا حياة مشتركة، ولهذا العقد خصوصيات في المسيحية فهو بإجماع كل طوائفها سر مقدس" ووصل الأمر بالآرثودكس والكاثوليك، أن ارتفعوا به إلى مرتبة السر الإلهي⁽¹⁾ فالزواج عندهم هو رمز الارتباط بين المسيح والكنيسة وبالتالي من الطبيعي أن لا يتم الزواج إلا عن طريق الكنيسة لأنه ليس بمجرد اتفاق بين الرجل و المرأة في إقامة علاقة طبيعية وإنما هو عمل ديني تتدخل فيه إرادة الله كطرف ثالث، والغرض من الزواج في المسيحية هو إنجاب الأولاد أي تكوين أسرة والتعاون بين الزوجين على شؤون الحياة. تركز أحكام الزواج والأسرة بصفة عامة عند المسيحيين على تعاليم وتوجيهات يسوع الذي يدعو إلى الزواج ولكن يؤثر عليه التبتل عند الاستطاعة والتوجه إلى العبادة جاء في إنجيل مرقس:

"Quand on nécessite d'entre les mort, on ne prend ni femme ni mari, mais on est comme des anges dans les creuses"⁽²⁾

و تشير الكثير من الرسائل في العهد الجديد إلى نماذج من قانون أحوال الشخصية المنظمة للزواج والأسرة وكيفية المعاملة بين الزوجين في البيت المسيحي.

ومن موانع الزواج Les empêchements au mariage في المسيحية هناك موانع مبطللة يترتب عليها أثرا قانونيا يتمثل في بطلان الزواج كالقراة الشرعية والعجز الجنسي. وموانع محرمة فلا تترتب أي اثر قانوني، الزواج صحيح ولكنه مكروه ديانة أي محرما كالنذر البسيط.

موانع دائمة: تستند إلى أسباب ثابتة لا تزول كالقربة.

موانع مؤقتة: أسبابها ذات طبيعة وقتية يمكن أن تزول.

موانع مستترة: فهي خفية لا يمكن للجميع إثباتها.

في الشريعة الإسلامية:

أما الشريعة الثالثة التي اهتمت بأحكام النساء عامة والزواج خاصة هي الشريعة الإسلامية التي أعطت المرأة مكانة هامة من خلال تخصيصها في القرآن بسورة حملت اسم "النساء" وهي من السور الطوال، بينما يكثر الحديث على المرأة في سور أخرى عديدة (الحجرات - النور - الروم - النحل - البقرة - المائدة - الممتحنة - الطلاق - الأحزاب - المجادلة...)

والحال هنا هو أحكام الزواج في إطار مقارنتها بما جاء في التوراة والإنجيل فقد جاء في الآية الأولى من سورة النساء "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا". فالمرأة والرجل من نفس واحدة وهو إقرار سماوي بالمساواة بين الجنسين في المنشأ ويجتمعان فيما بعد زوجين على الألفة والمودة والرحمة "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (1) وقال تعالى في آية أخرى: "هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ" (2). هذه الآيات وغيرها تشرع للزواج باعتباره تلك الرابطة التي تجمع بين

- الروم: 21/30.

- البقرة: 187/2.

الرجل والمرأة ليسكن أحدهما إلى الآخر تضللهم المودة والرحمة، ويعي كل منهما حقوقه وواجباته نحو الحفاظ على النوع وهو من الكليات الخمس في الشريعة الإسلامية (حفظ العقل - حفظ الدين - حفظ المال - حفظ العرض - حفظ النسل) فالغاية من الزواج في الإسلام تنحصر نحو أبعاد ثلاثة أولها الألفة والمودة، ثم رعاية شؤون البيت والأسرة وثالثها التناسل فقد كان العرب يتفاخرون بالأولاد وبكثرتهم، ولأجل هذا كانوا يلتمسون في المرأة الحداثة والبكارة، لتحقيق هدفهم وغايتهم. ثم إن الإسلام بتشريعه للزواج قد هدم أنواع الأنكحة التي كانت قبله عند العرب. فكان التشريع الإلهي الإسلامي مخلصاً للمرأة من العبودية وأثبت لها حقوقاً، أعادت لها إنسانيتها المفقودة، وفرض على الرجل واجبات في حق المرأة أمًا وزوجة وأختًا وبتًا، فعليه أن يكون كريمًا معها، أن يكسبها ويقدم لها العطايا، وفي المقابل فرض على المرأة فرائض في حق زوجها. والمحرمات من النساء في الإسلام ما عيّنتهن الآية القرآنية التالية: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا." (1) وهي آية تحمل موانع الزواج المؤبدة والمؤقتة وما

تعلق بما من أحكام ولعل الشرائع الوضعية في البيئة الإسلامية سارت نفس المسار في بيان المحرمات من النساء.

في الشرائع الوضعية:

يظهر أن هذه الأحكام تأثرت بمدنية الإنسان التي أسسها على الفصل مع كل ما هو لاهوتي نظريا ضمن مشروع ثورة الأنوار الذي بشرت به أوروبا المسيحية ثم بدأت الدراسات حول حقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة خاصة ومدى توفرها في المدونات اللاهوتية فتنوعت تشريعات المرأة واختلفت بحسب المرجعية الدينية المعتمدة والمرجعية الثقافية والحضارية ولعل الإشكال الذي قد يلاحظ هو مدى استقلالية التشريع الوضعي عن التشريع الإلهي في المسألة، لأنه إذا كان القانون مدنيا وضعيا، فلا ينبغي أن يستند إلى نص ديني وإلا أصبح تشريعا إلهيا. ففي تضعيف وثائق قانون الأحوال الشخصية وخاصة ما تعلق منها بأحكام الزواج نظر المشرع في أحيان كثيرة إلى فقه الواقع قبل فقه الدين بل أحيانا يقطع مع المرجعية الدينية ففي القانون الفرنسي " لا يوجد إلا الزواج المدني الذي ينبثق من الروح العلمانية. ويترك الاختيار للزوجين في إقامة زواج ديني في القانون النرويجي المؤرخ في 14 جانفي 1993 أو زواج مدني"⁽¹⁾

أما في ما يخص الملكية بين الزوجين " ففي حال اشترى أحد الزوجين آية ملكية يصبح ملزما بتقسيمه مناصفة مع قرينه، إلا في حال الهدية

¹ - droit de la famille/sous la direction de jacqueline rubellin,p 125.

التي قدمها الزوج لزوجته⁽¹⁾.

وبالنسبة لبعض الدول العربية، يعتبر أول قانون عالج زواج الصغار في مصر هو قانون رقم 65 لسنة 1923 وضع حداً لسنّ الزواج الرسمي للفتاة 16 سنة وللغتي 18 سنة. وفي القانون السوري في المادة 16: تكمل أهلية الزواج في الغتي بتمام 18 وفي الفتاة بتمام 17 من العمر. ويعتبر القانون التونسي حسب بعض الدارسين " أجراً قانون عربي في أنه أثبت للمرأة في المادة 9: الحق في عقد زواجها بنفسها بدون أي تقيّد بالكفاءة"⁽²⁾.

أما في مجلة الأحوال الشخصية التونسية فإن الفصل الثالث منها جاء فيه: لا يتعقد الزواج إلا برضا الزوجين. ويشترط لصحة الزواج إشهاد شاهدين من أهل الثقة وتسمية مهر الزوجة. وفي الفصل 4: لا يثبت الزواج إلا بحجة رسمية يضبطها قانون خاص (قانون الحالة المدنية عدد 3 لسنة 1957 المؤرخ في أول أوت 1957 وخاصة الفصل 31 وما بعده).

وفي الفصل 9: للزوج والزوجة أن يتوليا زواجهما بأنفسهما وأن يوكلتا من شاء.

ما يلاحظ في أحكام الزواج من خلال قانون الأحوال الشخصية أنها مازالت وقية في جانب كبير منها للتشريع إلهي خاصة في البلدان التي يكون فيها الدين الرسمي الإسلام باعتبار ما تمثله العقيدة من أهمية في

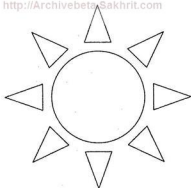
1 - بنسانون ناي: حقوق المرأة منذ البداية حتى أيامنا / عويدات للنشر والطباعة ص 119، لبنان ط 1 سنة 2001

2- عشا حستان: الزواج والطلاق وتعقد الزوجات في الإسلام ص 33.

شؤون المسلم، فكان لزاماً على المشرع أن يأخذ بهذا الاعتبار وأثره في الواقع الثقافي والحضاري الذي سينفذ فيه التشريع ومن هنا وجدناه في مواطن كثيرة يقتبس صراحة من التشريع إلهي أو ضمنياً، وحتى ما يظهر أنه قطع فيه مع ما هو لاهوتي إنما هو اجتهاد في فهم النص. وقد يزول الإشكال إذا اعتبرنا جواز تقاطع السماوي مع الوضعي في أحكام الزواج فهما لا يفترقان على الأقل من حيث المقصد الأول من تشريع الزواج (التكاثر والمودة والسكن). وقد لا يزول الإشكال إذا اعتبرنا جواز تغليب أحدهما على الآخر. فتبقى مسألة أحكام الزواج متأرجحة بين اعتماد التشريع إلهي وبين اعتماد التشريع الوضعي، وما يترتب عن كل تطبيق منهما من ثوابع وآثار، وكذلك يطرح الشأن في الطلاق.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



موقف بعض المستشرقين من الرسالة الإسلامية

بقلم: الأستاذ عبد الكريم العطاوي

كلّنا يعلم علم اليقين، أنّ بعض المستشرقين، كانت بحوثهم حول الرسالة الإسلامية، تتسم بمواقف ذاتية، يلاحظها كلّ باحث موضوعي متسائلا عن دوافع هذه المواقف، كما نتساءل نحن أيضا عنها فنقول:

- ما الذي دفع بعض المستشرقين إلى القول بعدم عموم الرسالة

الإسلامية؟

- وما ذا يقصد بالقول بأنّ هذا الدين لم يهتأ إلا لبلاد العرب؟

وما الذي جعل الأب: لامانس البلجيكي بالذات ينفي

الأحاديث النبوية التي تؤيد الآيات القرآنية، ويقول إنّها قد

وضعت ودست على محمد؟

- ولماذا نفى قول زهير التعاليم المنسوبة إلى ابن عباس، والتي

تحمل طابع التصديق بشكل متساو؟ - وهل وقع الرد المنطقي

على هؤلاء المستشرقين المتعصّبين من بني جنسهم ووطنهم؟ ألم

يدل ذلك دلالة واضحة على بعدهم على الموضوعية وتمسّكهم

بالذاتية؟

للحواب عن هذه الأسئلة المطروحة وغيرها نقول أولا إنّ قولهم

بعدم عموم الرسالة الإسلامية، يدل عن دافع حقيقي، دفعهم إلى هذا

القول وغيره من الأقوال الأخرى في الرسالة الإسلامية، وهو انتماءهم وتشبّثهم بالإيديولوجية المسيحية المتطرّفة والصهيونية العالمية، التي نادت ولازالت تنادي بالفكرة الاستعمارية، التي جوهت بمقاومة جماهيرية، "نتج عنها طرد ذويها المستعمرين من أراضيها، فجمعت قواها المنهزمة، وأعدت هجومها علينا بإستراتيجية أخرى، تمثّلت في القضاء على الهوية العربية والعقيدة الإسلامية، وتحقيق وصيّة ملك فرنسا لويس التاسع الذي قاد حملتين صليبيتين: السابعة والثامنة، ومات بالطاعون، تحت أسوار تونس سنة 1270 م، وأوصى بنقل الحروب الاستعمارية بشكل آخر، متمثلة في الغزو الفكري، وإدخال الشكوك فيما ورثه العرب من ثقافة وأدب ودين، وحثّ قومه على تعلّم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، للقيام بهذه المهمة الخطيرة، فظهر ما يسمّونهم بالمستشرقين الذين قاموا بالبحوث العديدة في شكل كتب كثيرة بنّوا فيها حقدهم وسمومهم¹.

أذكر من بينهم وليم ميور الذي ينكر عمومية الإسلام، فيقول: "إنّ فكرة عموم الرسالة جاءت فيما بعد، وعلى الرغم من كثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤيد عموم الرسالة، لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض أنه فكّر فيها، كان تفكيره تفكيراً غامضاً،... حيث انه لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات، إلا للعرب دون غيرهم"². وقد نسج على منواله كيتاني الذي "شكّ في

¹ - النقد الأدبي في مراحل الأربعة/ أ- عبد المجيد بن عمر العياري ص13.

² - تاريخ الإسلام 167/1-168 حسن إبراهيم حسن.

أن يكون النبي قد تخطى بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعو أمم العالم في ذلك الوقت إلى هذا الدين¹.

لكن هذا الإنكار لعالمية الإسلام من ميور وكيثاني، قد وقع الردّ عليهما من لدن سيرتوماس أرنولد الذي أثبت عالمية الرسالة الإسلامية بقوله: "على أنه وإن كانت هذه الكتب قد بدت في نظر من أرسلت إليهم ضرباً من الخرق، فقد برهنت الأيام على أنها لم تكن صادرة عن حماسة جوفاء. بل تدلّ هذه الكتب دلالة أكثر وضوحاً وأشدّ صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾². هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: "هل خفيت على ميور وكيثاني تجارة محمد، حيث سافر أكثر من مرة إلى الشام صحبة عمه أبي طالب، مما ألفت خديجة بما لها بين يديه خبيرة وأمانته في التجارة، وهل خفيت عليهما أيضاً سورة قريش التي تتحدّث عن رحلتين تجاريتين الأولى في الشتاء والثانية في الصيف، من الجزيرة إلى الشام، وهل نسيا إرسال محمد صلى الله عليه وسلم سفراء إلى ملوك وأمراء البلدان المحاذية للجزيرة العربية، وهل غفلا عن الوفود التي كانت تفد عليه من الجزيرة العربية وغيرها مثل إسلام بلال من الحبشة، وصهيب من الرّوم، وسلمان من الفرس، وغيرهم من عشرات الآلاف المؤلفة

¹ - تاريخ الإسلام 1 - حسن إبراهيم حسن.

² - آل عمران: 85.

التي أعلنت إسلامها واعتناقها لهذا الدين عن طيب خاطر، ألم يدلّ ذلك كلّه على عالميّة الإسلام، ودحض آراء بعض المستشرقين؟

(2) أما قولهم بأن هذا الدين، لم يهتأ إلا لبلاد العرب.

هذه دعوى أريدها إقليمية الرسالة الإسلامية عن قصد وانحياز إلى ما يصون إليه، في حين أن عالميّة الرسالة الإسلامية ثانية بأدلة تاريخية وآيات قرآنية.. فالأدلة التاريخية التي تردّ صراحة على إنكار بعض المستشرقين كتب الرسول إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية، "يرجع أساساً إلى عدم عثورهم على ما يدلّ على شيء من ذلك في الوثائق التي خلفها هؤلاء الملوك والأمراء

- وهذا لا ينهض دليلاً على صحّة هذا الزعم"¹، الذي دحض من كبار مؤرخي العرب، أمثال ابن هشام واليعقوبي والطبري "مما يثبت بعون الرسول إلى الخيرة الملوك والأمراء وكتبه إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام"²، حيث بعث دحية بن خليفة الكلبي الخزرجي إلى هرقل إمبراطور الروم، وعبد الله ابن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وعمر بن أمية الضمري إلى النحاشي، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس عامل هرقل على مصر، وسليط ابن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي أمير بلاد اليمامة، وشجاع بن وهب من بني أسد بن حزيمة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، والعلاء

¹ - تاريخ الإسلام / د- حسن إبراهيم حسن. م 157/1.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أخى بني القيس صاحب البحرين، وعمر بن العاص إلى صيغر وعياد ابني الجند¹.

والآيات القرآنية التي تثبت تجاوز الرسالة الإسلامية للبلاد العربية قوله تعالى: "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"². وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾³.

هذه الأدلة التاريخية والقرآنية تثبت بصفة جلية لا لبس فيها - بعد هؤلاء المستشرقين عن المنهجية الموضوعية في أبحاثهم حول الرسالة الإسلامية العالمية، التي ساست جميع الناس بالقسطاس المستقيم.

3) وأما قول لامانس البلجيكي: إن الأحاديث النبوية التي تؤيد

الآيات القرآنية، قد وضعت ودست على محمد: <http://www.ahlelislam.net>

هذا الحكم الذي اتخذته لامانس تجاه الأحاديث النبوية المؤيدة للآيات القرآنية، بأنها قد وضعت ودست على محمد، يفتقر في نظرنا ونظر غيرنا من الباحثين إلى أدلة وثائقية، لأنه أعرض عن الكتب التاريخية، ككتب الصحاح، مثل صحيح الترمذي والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد ومسلم وصحيح البخاري الذي يعتبر أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

¹ - سيرة ابن هشام ، ج 4 ، ص 297.

² - آل عمران: 64.

³ - الأعراف: 158.

هذه الكتب قد درست ونقدت الأحاديث النبوية، مستعملة علمي الجرح والتعديل، ومثبتة في النهاية، أن هذه الأحاديث مينة الآيات القرآنية ومؤيدة لها كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹.

بناء على هذا، أقول أن الباحث لامانس، لم يتقيد بالمنهجية العلمية الموضوعية، في متابعة بحوثه الإسلامية، بل انحاز إلى ميوله الذاتية التي دفعته دفعا قويا إلى إصدار أحكاما بعيدة كل البعد عن الأحكام الموضوعية المنطقية، والتي تدل دلالة واضحة على انحيازه إلى آرائه الإقليمية. ما "وقف على مدى هذا التحيز في حكمه مسيو إميل درمنجم في كتابه حياة محمد - يفند في مقدمته ما يقوله لامانس عن الدعوة الإسلامية فيقول: "إن الأب لامانس يرى مثلاً أنه حين يوافق حديث من أحاديث الرسول بعض آيات من القرآن - أن الحديث قد وضع ودس على محمد - اعتمادا على ورود معناه في القرآن وتأيد الكتاب له - ومن ثم لا يعتبره صحيح الرواية، ولا يثق به ولا يعتمد عليه فحدثني بربك كيف يمكن تدوين التاريخ إذن؟ إذا كان كلما اتفقت شهادتان واجتمع دليلان، فبدلاً من أن تقوي إحداها الأخرى وتزكيتها، فإنها تكذبها وتجرحها"²، في نظرك، مع أننا نلاحظ أن الأحاديث التي فسرت الآيات القرآنية وأيدتها هي أحاديث صحيحة،

¹ - النحل: 44.

² - تاريخ الإسلام، ج 1، ص 171 - د. حسن إبراهيم حسن.

لأنها تعرضت إلى العزيلة والنقد - كما قلت سابقا - من قبل أئمة الحديث كالبخاري - هذا برهان ساطع، يفند ما إدعيته.

"أما الحديث الذي يغزو إلى محمد حب العسل: يحتمل أن يكون وضع بناء على أن القرآن امتدح في العسل خواصه الصحية الصافية - كما يحتمل أن يقال إن محمدا إنما نصح وأوصى بأكل العسل لأنه كان يحبه ويجده صحيا"¹. وعلى أساس هذا فلا مؤاخذه على الراوي بأن يتصرف في روايته، لأنه يعلم أن السنة ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية.

ومهما يكن من أمر بعض المستشرقين، وتحاملهم على الرسول الذي لحض ببلاد العرب ووجد كلمتهم، ووجه شعار دينها الوثني إلى دين هو أشد صفاء وأكثر نقاء، مما دخل فيه عدد لا يستهان به، إذ يقدر بمئات الملايين ولا زلنا نسمع في وسائل الإعلام بأن عشرات الآلاف من الناس يعتنقون هذا الدين عن طيب خاطر. هذا دليل قاطع ورد ساطع على دعاوي هؤلاء المستشرقين الذين كانوا يحيدون عن المنهجية العلمية لغاية الخط والتقليل من أهمية الرسالة الإسلامية.

4) وأما نفي قول زهير التعاليم المنسوبة إلى ابن عباس، مع

أنها تحمل طابع التصديق والتوفيق:

هذا الحكم المبني على محاولات جادة منه، "قد نوقض بأدلة وحجج قاطعة من بينها: إن الاختلاف بين السلف في التفسير يرجع معظمه إلى اختلاف عبارة وتنوع، لا اختلاف تناقض وتضاد، فما

كان من هذا القبيل، فالجمع بينه سهل ميسور، وما لم يكن فيه الجمع، فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم، إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدم¹.

كما قدّم ابن عباس على جل الصحابة، لما امتاز به من مميزات، أذكر البعض منها:

(1) معرفته بأسباب نزول القرآن - والظروف والملايسات التي نزل فيها القرآن.

(2) معرفته بالأحاديث النبوية المبينة للقرآن.

(3) معرفته بالكتب المترلة على الرسل.

(4) اجتهاده الموفق لتفسير الآيات القرآنية.

(5) نبوغه الذي أهله إلى المترلة الأولى في التفسير وبوّاه

لأن يكون رئيس المفسرين في عهد الصحابة بدون

منازع.

أبعد هذه الخصائص التي تجعل من تفسير ابن عباس أمّ التفاسير، باتفاق غالبية الباحثين بدون استثناء - ما عدى قوله زهير الذي شذ عن المجموعة لغاية في نفسه، يريد من وراثتها كبل التهم إلى ابن عباس، حتى يثبت أن تلك الأحاديث التي كان يعتمد عليها مفسرنا غير صحيحة، وبالتالي يحقق غايته في صرف الناس عن تفسيره - لكن الحقائق والأدلة القاطعة تفنّد خططه وتقضي بالتالي على أهدافه، وتجعله بعيداً عن المنهجية العلمية الموضوعية.

¹ - السيوطي / الإقتان 229/2.

أما الاختلاف في الرواية عن ابن عباس، من أن، الذبيح إسحاق أو إسماعيل يرجع في نظرنا:

أ- إلى تتبع سلسلة الرواة - فالرواية القائلة بأن الذبيح إسحاق في سندها الحسن بن دينار، عن علي بن زيد، والحسن بن دينار متروك - وعلي بن زيد منكر الحديث كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره¹.

ب- إلى تفاوت أقوال ابن عباس في الصحة والقبول، فرأي ابن عباس بأن الذبيح هو إسحاق كان في أول الأمر لأنه سمع ذلك من بعض الصحابة، ولما بحث وحقق فيما بعد، تراجع عن هذا الرأي ونسفه جملة وتفصيلاً بقوله: "حدثني بن يوسف، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود".

هذا الأثر الصحيح على شرط الشيخين، "أما دعوته القائلة بأن التفسير بالمأثور مساوٍ للتفسير بالعلم، وذلك تخلو الوحدة التامة والكيان القائم، فهو ادعاء باطل، لأن المأثور الذي صحَّ عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم - له مكانته وقسمته (إن هو إلا وحي يوحى)². وأن ما صحَّ عن الصحابة فعاليه مما تلقوه عن الرسول صَلَّى الله عليه وسلم وقليل منه قالوه عن نظر واجتهاد منهم، لأنهم أدركوا ذلك لما شاهدوه

¹ - السيوطي / الإتحاف 229/2

² - النجم: 4.

من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح¹

والحاصل لدينا، أن المستشرق قولد زيهر، كانت تدفعه أغراض مقصودة، لا تغيب عن أنظار علماء الدراسات القرآنية، فقد كان يعتمد في موضوعنا هذا إلى صرف أنظار الناس عن تفسير ابن عباس، الذي شهد له الأولون من الصحابة والتابعين جميعاً بتقدمه في التفسير، وجعله بحق إمام المفسرين بدون منازع، وتواطؤهم يفيد القاطع، من هنا نرد أقواله المقصودة، بالاعتماد على تلك المصادر المذيلة في الهامش، والتي تفيد مجموعها أن أقواله وملاحظاته لم تكن معتمدة على دليل قاطع، لذا يزداد إيماننا وتعلقنا الكامل بتفسير ابن عباس الذي لا يزال إلى عصر الناس هذا، عمدة ومصدراً كبيراً من مصادر المفسرين المحدثين.

5) أما الرد المنطقي على هؤلاء المستشرقين، كان من زملائهم

وبني جنسهم ووطنهم:

حيث يتحلى ذلك في هؤلاء المستشرقين الذين دفع بهم لويس التاسع إلى تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، طالباً منهم نفس الطلب الذي طلبه من زملائهم المتعصبين أمثال ميور كيتاني ولا مانس وقولد زيهر، لكن النتيجة كانت عكسية، بالنسبة له، حيث تعمق

¹ - الذهبي: التفسير والمفسرون 163/1

هؤلاء في دراساتهم للثقافة الإسلامية، فوقفوا مبهورين أمام عدالة وعالمية الإسلام، وصدق ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، من تعاليم سمحة، وتحريض على الأخلاق الحميدة بلغة عربية فصيحة: "فاهتدوا بما رزقهم الله به من عقل سليم إلى الإيمان بالله، والإشادة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أذكر من بين هؤلاء المستشرقين رينان الذي قرأ سيرة ابن هشام وغيرها فأقر بما جاء فيها عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومثله المستشرق كارليل الذي جحد بطولة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق بما جاء في دعوته للإيمان بالله - ونسج على منواله الأديب الكبير والكاتب ألفريد تولستوي الروسي الأصل الذي مدح الإسلام واللغة العربية، وأعلن إسلامه، ولم يأبه برفض البابا له من المسيحية وحرمانه من الرحمة، ومثله أيضا فكتور هيكو 1885 صاحب كتاب البؤساء الذي حرض قومه في كتاباته على إتباع سيرة الإسلام مع إبداء إعجابه بهذه اللغة العربية"¹، مما دفع الشاعر المصري حافظ إبراهيم إلى الإشادة به.

سأه ألا يرى في قومه مسيرة الإسلام في عهد النبي.

وغيرهم كثير، إن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على أن الرسالة الإسلامية، كانت صالحة لكل زمان ومكان، إذ تعطي لكل حق حقه،

1- العياري عبد المجيد / النقد الأدبي في مراحلها الأربعة الأولى. ص: 14-15.

وتقدر ميول الإنسان الفطرية والعقلية والروحية، ومن ثمّ أخرجت للناس مدنيّه، استغلها الغرب بحكمة في علاقات أفرادها ناكرا نسبيتها للرسالة، لا لشيء، إلا لحقد وكراهية عنصرية، لكن والحمد لله، خرج جمع هائل من مستشرقي الغرب، متعمقين في دراسة العقيدة الإسلامية، معتنقين دينها الفطري، بعدما عرفوا مبادئها الصالحة. أخذوا يشيدون بفوائدها الاجتماعية والأخلاقية، وهذا في نظرنا خير دليل ساطع للردّ على أولئك المستشرقين وتلاميذهم الخاقدين على ديننا الإسلامي، إذ ثبت بصراحة إنحرافهم عن البحوث الموضوعية، وتشبيهم بالبحوث الذاتية، لغاية صرف الناس عن العقيدة الإسلامية، وتحقيق أهداف مدارسهم اللائكية، لكننا نقول لهم ولأمثالهم، هل نسيتم الأمانة العلمية؟ وهل سولت لكم نفوسكم خيانتها؟ في حين أن الأمانة العلمية قاسم مشترك بيننا وبينكم، كان من الأجدى بكم التمسك بها. كما نتمسك بها نحن إمتثالا وتطبيقا لنداء ديننا الذي يقول لنا ولكم بكل صراحة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا¹ .



لا بدّ للحبّ أن يصبح أوفى

شعر : صالح الطرابلسي

عجريت... ..

هاذي القصيدة تبقى تضيق لها ...

المسافات فنمنطي ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صهوات الغمام الماطر ،

ملحفة لفحة الريح ،

تفتح فينا كل المعابر إلى بينها ...

يا بينها ! ...

كل النوافذ فيك ...

مشرعة على صخب في الشوارع ! ...

هاذي الشوارع التي ...



حولنا، لنلطفنا على ضفاف ...

أروقة باهتة ! ...

*** **

لا بأس ..

ها أنا نمنع في الرحيل ! ...

لا موطن لنا سوى ..

هذه الأرض ، فلذاتها ...

ARCHIVE

<http://ArchiVeta.Sat.net.com>

من ماء الهوى طللا ! ...

ثم نؤججها بصخب العبارات ! ...

الشوارع صخب ...

صخب ... صخب ...

والريح زواجع الجنوب المفتت ..



ARCHIVE

ما أضمت فأمير قراك، مواعيد ..

للاشها! ... ولا ...

أحقت جذورها التي ...

خفت ...

بمصل الآباء! ...

والقلب لم يش في الثرى ..

وجده! ...



ARCHIVE

في الحلم مرقفت ملوك طوائف !!
<http://chivata.com/hr/>

كل النساء اللواتي وافقتا،،

في الخيمة المترهلة، ما ...

أحيينا ..

كل الدروب التي عبرت سكتة ..

العمر بنا ! ..

ما أوصلنا إلى أحلامنا



غاب هو الزمن ! ...

حولنا ..

يضرب حصار تو حشه ..

ليلاً أزرق ..

يرتدي جبّة تقواء، ملحفاً ..

برداً القنلة ! ..

في باجّة الروح لم يبق ..

ARCHIVE

<http://Archive.khrit.com>

تبسط الكف لتطلق ..

طيراً أبابيل ترمينا ..

بالعشق المنمرّد ! ..

والرحم

عجل بالوطن ! ..

عجل بالشمس وبالمطر ! ...

ويدعونا .. هذا المدي أن خيا ! ...

ARCHIVE

<http://Archive.org>

لا بد للحب أن يصبح أوفى ..

والعالم ..

لا بد أن يصبح أبقى

إلى شاعر

شعر: نجاح زقية

تأمل... تكلم...!

لماذا خطاك قدير



و ثغرك شمس تعيب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وذاك القضا... وذاك المصير؟

ننوق ولهنو...

و نزلجي... نغفو..

وعند الوصول لحبيب

وبلى الأمانى..

وتذوي المعاني ...

ويمد حب فحين كليم

وشك .. وسهد ..

ويقنات مني ومنك السعير

تألم ! ... تكلم ! ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بعينك دف حرام رضع

غدا سوف تسلي ..

غدا سوف يأتي الربيع

ويتأى مكاني ..

وسحر الليالي ..

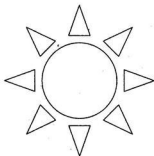
ونسي غريبا وذكرى قديمة ..

سنخلع إسمي ..

ونفجر مرثمي ..

وترنو سعيدنا ..

ARCHIVE
الحلم ارق ... لشوق غداة مجي ..
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



امرأة الحلم

شعر : محجوبة الجلاصي

قفي ... يا امرأة الحلم

سينجي شهوتك

باللقاء القريب



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تلك بقايا أفراحك

وقليل من حششات

أمنيائك وذاك للعمس

القادم ...

إليك ...

فاحفظهم...

ولا تبوحى لهم للوجوه

العابثة بالشمس

ذاك وجهه بنأرجح

بين الشك واليقين

ARCHIVE

يسأل: هل خبني؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قفي يا امرأة الحلم

وبشري نيك المنظر

أن لا امرأة سحبه مثلك

سحبه مليون سنة

أخرى

وسنسبح باسمه

بعد دقائق قلبها

قفي يا امرأة الحلم

واقدي صبر أمك

ARCHIVE
احملني أشواقك
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انزعني خجلك

هو قادم إليك

فاحضني حيننا

ولا تخجلي

ذاك قمر ك فلا

قطنني ...

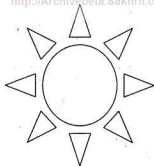
أحبك جدا

فهل يكون قدومك



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



أيقونة الشعراء

شعر : مختار المومني

إلى كل الشعراء

* محمد العروسي المطوي :

في طريق المعصرة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

توكل المير

حلو المذاق

اشهنة حليلة

فرحة الحياة

* منصف المزغني

عياش

يكي حنظلة فوق قوس الرياح

أهل بالرحيل



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

من عنا قيد الفرح

* الغريبي المسلمي

إيه . . صاح

مفرد شبه قلبي

وهذا الحرف أخضر

أزهر اليوم بين الحماثل



* سوف عبيد

نواصة الملح

أزهرت في الجرح

فامرتوت

من صديد الريح

يا لهذا الفنى !

ساحر في الشيد

ARCHIVE

<http://www.eta.kit.com>

قد تغنى بذلك الجناح

خارج سرب يروح

لخونع وحيد

لشنى الضفاف .

* زبيدة بشير

يا لهذا الحنين عاصف

حارق

مثل مريح السجوم



مودة عقلنا
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

خوفهم الجنون

• يوسف مزوقة

ضاع اسطرلاب يوسف

في الأرخيل

ذات صباح

وقد فاجأته الذئاب



وكان يهندس برنامج الوردة

إيه يوسف

مناز عليك غزني

وهذي بلاد ما بين اليندين

نرجم عاشقها

فاسح جوادك



يا سيد العاشقين

منعب خطوك

ويا حامل المصايح

موحش ليلك

وما أنت ضائع

بين السباعيات



ترقق أفق السماء.

في ليل الغربا.

داخل سجن الكلمات

كافِلَةُ "الدُّرَّةِ الْيَسِيْمَةِ"

في مدح الرسول الكريم صَلَّى الله عليه وسلم
شعر: محفوظ غزال

الحمْدُ لله ما أَحْيَا الفِؤَادَ دمي
حَقًّا عَلَيَّ لِمَا أَوْتَيْتُ مِنْ نِعَمٍ
قَدْ أَلْقَحْتَنِي رِيَّاحَ الشَّوْقِ وَالْكَلَفِ
وَأَزْهَرَ الْحَرْفَ فَارْشَفْ ضَوْعَةَ الْقَلَمِ
ذَكَرْتُ مُضْزَمَ نَارِيْنَا مُسَعَّرَةً
ذِكْرِي وَصَالٍ وَخَبْلٍ غَيْرِ مُنْصَرَمِ

لِذَا سَفَحْتُ دَمْعُ الْعَيْنِ فِي وَرَقٍ
فَالْدَمْعُ دُمْعَانِ دَمْعُ الْعَيْنِ وَالْقَلَمِ
وَسَتَّ بِيكَ الْعَيْنُ إِذْ أُمْسِيَتْ مُكْتَجِلًا

دَمَ النَّشِيْجِ لَصُبْحِ الْخُبِّ لَمْ يَدُمْ
لَقَدْ تَوَرَّدَ خَدُّ الْهَجْرِ إِذْ رَحَلَتْ

كَمَا تَوَرَّدَ خَدُّ عِنْدَ مُلْتَقَتِهِمْ
وَالْيَوْمَ تَنْعَقُ غُرْبَانُ النُّوَى حَزَنًا

فَتَلْعَقُ الْأَمْسَ مِثْلَ الْأَكْلِ النَّهْمِ
عُوجِلَتْ بِالْهَجْرِ فِي غُصْنِ الرَّبِيعِ فَمَا
تَنْشِيْمُ بِسَارِقَةِ الْأَنْوَاءِ وَالذِّيمِ

قَدْ خَيَّسَتْكَ عَيُونُ الشُّوقِ عَابِثَةً
 ذُبَالَةَ الطَّرْفِ عَنْ ذِكْرِكَ لَمْ تَرَمِ
 يَا كَاتِمَ الْخُبِّ مَنْ لِلشَّمْسِ يَخْجُبُهَا
 إِنَّ الْهَوَى كَاشِفُ الْمَكْتُومِ وَالسَّقَمِ
 لَا تُبْذُونَ لَدَى الْعُذَّالِ مُفْتَتِنًا

وَاطْوَ الْحَوَايَا عَلَى جُوعَيْنِ فِي شَمَمِ
 وَاكْثُمُ شَكَايَاكَ نَارُ الْبَيْنِ صَاقِلَةً

فَالْفَحْ حَدِيدَكَ بِالنَّيِّرَانِ يَسْتَقِمِ
 وَغَالِبِ النَّفْسِ صَبْرًا إِنْ تَكُنْ عَاجِلًا

فَالنَّفْسُ جَرَّارَةُ الْمَغْرُورِ لِلنَّدَمِ
 قَدْ غَلَّقَتْ دُونِي الْأَبْوَابَ سَافِرَةً
 وَرَأَوْتَنِي التَّيَّاسُ فِي بَيْرِهَا سَقَمِي
 وَقِيلَ "هَيْتَ لَكَ" اللَّهُمَّ لَا أَمَلَا

فِي غَيْرِ حِفْظِكَ فِي دَوَامَةِ الْقَرَمِ
 وَهَمَّ قَلْبِي إِذْ هَمَّتْ فَالْجَمْنَا
 بُرْهَانَ رَبِّي ذِي الْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ
 وَقَدْ ذُبِرُ قَمِيصِي عِنْدَمَا لَمَحْتَ
 بِالْبَابِ سَيِّدَهَا فَاسْتَصْرَخْتَ نَدَمِي
 وَظَلَلْتُ بَضْعَ سِنِينَ فِي غِيَاهِبِهِ
 سِجْنِ النَّدَامَةِ وَالْخُسْرَانِ وَالْأَلَمِ
 وَقُلْتُ يَا نَفْسُ ذَا سِجْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ
 قَلْبِي وَأَرْقَعُ فِي الْبُنْيَانِ مِنْ إِرَمِ

النَّفْسُ أَنْتَاكَ إِنْ أَوْلَدَتْهَا مَرَدَّتْ
و إِنْ تَجَافَيْتَ عَنْ أَطْرَافِهَا تَهْمُ
فَاخْذِرْ لِهَيْبَيْنِ إِنْ جَاءَتْكَ أَمْرَةٌ

مَا بَيْنَ فَكَيْكَ أَوْ رَجُلَيْكَ وَاعْتَصِمِ
أَمْسِكْ عَلَى شَهْوَةِ حَبْلِ التَّقَى جَلْدًا
فِي شِدَّةِ السَّيْلِ أَوْ فِي فَوْرَةِ الْحِمَمِ

غَرَّتْكَ نَفْسُكَ بِالْأَهْوَاءِ مَذْنُوبَةٌ
فِيكَ الْفُؤُوءُ دَعُذَا عَنْكَ وَاسْتَقِمِ
هَذَا بَيَانِي وَفِي قَوْلِي هَذِي لَهْيَا

بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِلْقَهَّارِ ذِي الْكَرَمِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ يُؤَلَّذْ وَلَمْ يَأْلَمْ
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي الْمُلْكِ ذَا قِدَمِ
فَضْلُ لِرَبِّي قَوْلِي - خَلْتُ - مُنْتَظِمًا

وَالْفَضْلُ - إِنْ عَيَّ - هَذِي وَسَطُ مَزْدَحِمِ
مِنْ الْمَعَاصِي مِنَ الْإِتَامِ أَرْكَبُهَا
فِي لُجَّةِ التَّيِّهِ فِي بَحْرِ مِنَ الظُّلَمِ
إِنِّي أَنْبِئُ لِرَبِّي وَالْمُزَيَّبِ حَقِّي
بِرَحْمَةِ اللَّهِ يَا بُشْرَايَ بِالنَّبَعِ
رَبَّاهُ أَنْعَمْتَ زِدْنِي حُسْنُ مُنْقَلَبِ

وَابْسُطْ مِنَ السُّرْرِ فَوْقِي وَأَفِرْ الدَّيَمِ
لَبَّيْكَ رَبَّاهُ ذِي نَفْسِي مُلَبَّيَّةُ
أَلْجَمْتُهَا لُجْمًا مِنْ أَمْتِنِ اللَّجْمِ

أَلْجَمْتُهَا آيَةَ الْقُرْآنِ قَدْ قَطَعْتَ
 حَبْلَ الْوَرِيدِ لَنَمْلُ الْغِي فِي الرَّجْمِ
 أَوْدَعْتُهَا نُطْفَةَ الْإِيمَانِ مُذْ رَحَلْتَ
 إِلَيَّ فِي هَوْدَجِ الْإِقْوَاءِ وَالسُّقَمِ
 صَنَعْتَ بِكَفٍّ حَسِيرٍ وَجْهَهَا وَشَكَّتْ
 إِنِّي مِنَ الْعُمْرِ قَدْ أُوْدِعْتُ لِلْعَدَمِ
 أَنِّي تُؤْمَلُ عِنْدِي بَعْدَ أَنْ شَمِطْتَ
 أَطْرَافَ شَعْرِي مِنْ هَمٍّ وَمِنْ أَلَمِ
 فَقُلْتُ أُمَانْتُ عِنْدَ اللَّهِ مَغْفِرَةٌ
 وَلِنُدْخِلِي جَنَّةَ الرِّضْوَانِ فِي أَمَمِ
 أَجْلُهَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَشْرَقَهَا
 "مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ"
 مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا هَمَّتْ دِيْنُكُمْ
 عَلَى حَبِيبِكِ أَوْفَى الْقَدَرِ بِالْعِظَمِ
 فِي جَانِبِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ مَوْلِدُهُ
 يَوْمًا خَبَتْ فِيهِ نَارُ الْقُرْصِ وَالْعَجَمِ
 فِي فَتْيَةٍ مِنْ قَرِيشٍ هَزَّهُمْ كَلَفُ
 بِالْجَبَبِ وَالرَّجَسِ وَالطَّاغُوتِ وَالصَّنَمِ
 مُحَمَّدٌ نَوْرُ هَذَا الْكَوْنِ مَوْلِدُهُ
 مَوْتُ الَّذِي كَانَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظُلْمٍ
 وَقَالَ رَبُّكَ لِلْأَرْضِ التَّيَّي رَجَفَتْ
 مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مَنْ يَغْلُوكِ بِالْقَدَمِ
 لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَنْ أَوْلَى بِمَفْخَرَةٍ
 لَكَانَ لَكِنْ مَشَى هَوْنًا وَلَمْ يَهْمِ

نافذة على شباك

بقلم : مبروك صالح المناعي

خرج الصادق صباح الأحد من مسكنه مضطرباً، بعد أن برح
دفع فراشه مكرهاً. لم يلبث به مثل الناس المحظوظين الهائنين. فلم
يتمتع بصبيحة رائقة مثلهم. إذ دفعه المر إلى ما أمر. أجبرته
الخصاصة أن يخرج ليستدين إذ لم يبق بيته ولو دينار. ورغم أنه
يتعامل مع تاجر الحي بالدين فإن الحاجة للنقود ضرورية للوازم
عديدة أخرى. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ما إن وضع قدمه خارج باب المسكن حتى صفعت وجهه ريح
شمالية كالحمة. فلفلف جهازته حول عنقه وهمهم "سينقضي الشتاء
دون أن أشتري معطفاً ولو قديماً. يا لتعاسي... يا لحظي المتعثر...
يا لعاطفتي الأبوية... ظللت دائماً أقدم مصلحة أبنائي على
حاجتي."

حاول أن يتأمل الجو فصدده اللحاف الرصاصي الذي عم
الفضاء فحجب ضوء الشمس.

توقّف برهة يفكر في الوجهة المناسبة لمأربه. فقفزت بذهنه شخصية الشيخ صالح "ذلك الشهم الكريم... المال يتوفر لديه دون شك... فلن يصرفني دون مساعدة".

فتقدّم في ثقة وسلك الطريق المؤدي إلى غايته. وسار ترافقه هواجسه منصتا إلى شكوى الباطن: "هكذا أعاني في أواخر كل شهر. إنه من ضعف الراتب، الذي أدفع رבעه في إيجار المسكن... ويحي منك يا ديسمر الأصم... ما أطول ذلك... يظل يتمطط ويتلدّد... ما لك لا ترهق إلا الفقراء مثلي؟".

ومرت سيارة فخمة في سرعة فائقة، كادت تلتطخ ثيابه بالمياه الراكدة. فنط في حافة شاب وزعم الأربعين التي بلغها. وتسمر يلاحق بنظره طيران السيارة في غيظ بعد أن سلم من التلوّث.

ثمّ سار من نهج إلى نهج حتى انحطّ في زقاق يعرفه كما يعرف نفسه فنظر إلى اليسار حيث قابله الشباك مفتوحا. وانتشله من تفكيره صوت عن يمينه يهتف: النافذة انفتحت! فتوقف عن المسير وتسمر في مكانه كراهب إزاء معبد. فلبث يناجي الشباك:

- "ما هذه التغيرات الرديئة... كيف صار محيطك ذاكنا وانقلب لونك رماديا وتحولت ستارتك سوداء. بالأمس كان

حائطك ناصع البياض ولونك بنفسجيا وستارتك وردية. كان الشعاع يغمرك في تلك النهارات فتضاء الغرفة وتزدهر الحديقة. كان البدر يظهر من خلالك في تلك الليالي فينير البيت والحديقة. كنت إذاك أنتصب أمام المسكن المقابل حيث كنت أسكن، فأنعم بابتسام القمر. آه يا شباك... يحق لك أن ترتدي السواد إلى الأبد، بعد أن غادرك بدر البدور! كم كنت متعلقا بك حين كنت قبلي الوحيدة وغايي المنشودة. كنت إذاك أرتع في فصل الربيع. لم أتوقع أن تتحول أوقاتي إلى أيام قارسة تتخلل هامتي هذه الخيوط القطنية. كان الموسم خصبا حيث عمت الأرض الخضرة وانتشرت الأزهار. فألفت بين قلبيين، لقد مثلت أفضل ركن تعارف ربط بين شخصين متجاوبين فوطدت علاقتهما بالحببة الخالصة".

منذ سنوات خلعت دخل الصادق المدينة فاستقر بضاحية من أحواز العاصمة. نزح إليها من قرية نائية منتصبة بين حقول الحبوب انتدبته مؤسسة فقارق ربع الولادة وهرع إلى أحضان الشغل يلتمس أسباب الرزق.

في نفس الفترة نزلت عائشة بنفس المكان نزحت إلى العاصمة

ضمن أسرها، بعد أن بارحوا قريتهم الرابضة بين غابات الزياتين.
 عندما أقام الصادق بالمدينة لبث محافظاً على استقامته. ففي
 أيامه الأولى لم ينتبه إلى ظاهرة الشبايك. ثم جعل يقلد أبناء جيله
 في استراق النظر إلى بعض الشبايك المفتوحة. طالعه وجوه
 عديدة مختلفة الأشكال والألوان. فمضى يتحاشى التحديق فيها
 خشية الردود المهينة أو العواقب الوخيمة إلى أن مره النور المتدفق
 من أقرب شباك فعجز عن النظر فيه وانسحب مقهوراً. لكنه هياً
 نفسه لفرصة لاحقة، وحلت ساعة الحظ في مساء سعيد إثر
 غروب الشمس، فانفتح الشباك وظهر القمر فيداً بدرًا. وقف
 الصادق يسترق النظر مرتبكاً، فانبسط له الحظ في وجه البدر في
 رقة ولطف فبادل الإشارة بإشراق وبراءة.

وتعارف الحبيبان عن بعد!

وتواصلت علاقتهما عبر الشباك فحسب إذ كانت عيون
 الفضول رقية فلم يتح لهما الوضع لقاء أو محادثة. فاقترعا على
 التعبير بالنظرات واكتفيا بالإشارات المشفوعة بالبسمات.

اعتمدت يوما بساعديها قاعدة الشباك وطفقت تهديه مما منحها
 الله من روعة فتسمر إزاءها مثل ناسك وراح يناجيها

بالنظرات: "أيها الساحل البديع، أحسنت فتكرمت. شكرا على هذه اللؤلؤة الرائعة. يا لها من هدية ثمينة قدمتها لهذا الفؤاد العليل. إنما له خير دواء. إنما الفاكهة التي يصفونها: "التفاح اللي يفوح ويرد الروح للروح". حلت المصيبة بهذا الفؤاد منذ رحيل حبيبته الأولى عنه إلى الأبد. أنجبت ثم انسحبت مبكرا فغدا العصفور بين مخالب النسر، بين قسوة الراعي ونقمة الراعية البديلة...

أيها الساحل الكريم... لعلك أشفقت على الرعية الضائعة فتعهدت بتعويض الحنان المفقود بحنان موهوب...

"أيها اللؤلؤة القيمة... هل اهذاك الساحل لي أم أهداني لك الشمال الغربي؟ هل هو اتوق الخبواب إلى الزياتين أم شوق الزيت إلى القموح؟"

شعر الصادق بأن الحياة قد فتحت له شباك السعادة. واعتبر هذه اللؤلؤة ابتسامة من قبل القدر في وجهه. إنما فريدة في نظره، تتوفر فيها الصفات التي تليق به وتناسبه بالسر البادي على محيّاها، بالتواضع الذي تميّز به، بالحياء الذي تحلّى به، والرصانة التي تتصف بها...

فتمثلت له جنة على وجه الأرض من الله بها عليه. فهتف

متمنياً: "آه... لو يكتب لهُذين القلبين أن يقتربا في أقرب أجل".
وفكر الصادق في اقتراحهما فلم ير وسيلة له غير الزواج.
لكنه ما زال فتى بيد أنه أقنع نفسه معرباً: هل أخطب اليوم لأبني
في الغد؟ بل سنلبث رفيقين لمدة الخطوبة ثمهد ظروف البناء. ما
أعذب فترة الخطوبة حين تطول نسبياً. إنها مرحلة ممتعة. وفكر في
مخاطبة أخيها...

إلى أن رآه يوماً فبادره بالتحية وخاطبه في همس: "أخي
أحمد... لو سمحت... امنحني قليلاً من الوقت... لدي موضوع
هام أريد مخاطبتك فيه."
فهتف أحمد في حماس: تفضل عليّ الرَّأغب والسُّلعة.

- أخي أحمد... إنك في مقام الأخ الأكبر بالنسبة إليّ...
أحببتك في الله لحسن خلقك. أسرتكم فاضلة... لقد أعجبت
بشقيقتك إذ رأيت أنها توافقتني. أمّا فيما يخصني فأنت زميلي
وجاري منذ سنوات. تعرفني من خلال الشغل ومن خلال الحوار.
مادام والدك متوفى، رحمه الله، أرجوك أن تخاطب الوالدة في
الموضوع.

فأجاب الشاب فوراً وفي حماس:

- على الرحب والسعة... أتشرف بك. أعتقد أننا لن نجد صهرا أفضل منك. سأشعر الوالدة فورا... والله نسأل أن يقرب بيننا. من ناحيتي، أعتبر طلبك مقبولا.

لبث الصادق ينتظر الرد لكنه بات متشائما لأنه يتوقع نتيجة سلبية خصوصا وأنّ التعصب القبلي الأعمى مازال معششا في رؤوس العشائر.

بينما بلغ الصديق والدته رغبة صديقه... تريثت المرأة حتى أتاحت لها مخاطبة قرية الصادق فاستشارتها في الموضوع.

استولى التعصب على عقل القرية وأكل الحسد قلبها فأعربت متضاحكة:

- كيف يخطب لنفسه بينما تعهد والده للناس في قريتنا والتزم لهم... الكل يعلم في موطننا أن أباه قد خطب له فتاة وانتهى الأمر. هل ينقض عهد أبيه؟ أترضين أنت يا خالة أن ينجم خلاف بين الوالد والولد، فتحدث قطيعة وسط العشيرة؟

مرت الأيام والصادق يعاني مرارة الانتظار. لم يتخلص من هاجس التشاؤم الذي يخفي خلفه تعصب الماضي الأعمى الذي مازال يجري في عروق المجتمع.

في كلّ يوم يقابل صديقه في ميدان الشغل. ويتطلع في كل صباح إلى وجهه دون جديد. انقضى أسبوع يكتنفه الصمت، أمتص خلاله الانتظار معنويات الصادق. والتهم نظرة محياه. وعندما نفذ صبره توجه إلى زميله مستعظفا ومستفهما:

- أخي أحمد... اعذرني لو أخرجتك.. إني سئمت الانتظار...
فلبثت بين عاملي التشاؤم والأمل...

أطرق الشاب هنيهة ثم تنهد من أعماقه وأفصح:

- اسمع يا صادق يا أخي... لن أستطيع مساعدتك في الموضوع، لأن الأمر قد تجاوزني. قريبك أعلمت والدتي بما قام به والدك في قريبكم. لم يعد لدي إزاء والدتي أي موقف. ولن تفتح أذنيها لأحد... لا فائدة ترجى بعد....

ودوت إجابته بمثابة الصفعة فزعزعت كيان الصادق، وهدت معنوياته. فلاذ بالصمت يتجرّع الغصة وليث متسمرًا كالجماد...
لبث الكهل متسمرًا إزاء الشباك يكاد يتجمد من البرد. بقي يستعيد أيام الربيع ويحلم بالإشراق ليضئ المنزل والشارع والحيّ. لم يعد يعي مسؤولياته أو يعنى بشؤونه. ربما نسي حتى نفسه فلبث هناك واقفا ينتظر وينتظر...

وانتشله من موقفه صوت مزعج حين فاجأه شبح مخيف ظهر له من الشباك في هيئة وحش، له جسم عملاق وهامة مربعة شعشاء، ذات نايتين طويلين حادين. حلق فيه بعينين ملتفتتين، ثم ركض نحوه عبر مدخل الدار وانتصب أمام أنفه كالمارد الجبار. بدت كتفاه تشكلان علامة نصر. وصرخ في وجه الصادق مزجرا:

- ماذا تريد... هل أودعت لدينا هاهنا شيئا؟ ما لحضرة الجنباص مصوب العينين في شابكانا؟ هل تتوقع وجود فاكهة هاهنا؟ شعر الكهل بوقوعه في مأزق. فاستحضر ثقل مسؤولياته وتذكر سبب خروجه.

خشي لو تفلت منه لفظة قد تورطه، إذ أضلحى معرضا لهجمة وشيكة. فاستنجد بتفكيره السريع إذ لمح دكانا مغلقا لبيع الفحم بواجهة ذلك المنزل فاعتذر للمارد الجبار في لهجة رقيقة لطيفة، حيث أجاب:

- قتلنا البرد يا أخي في هذا اليوم القارس، فحنت إلى هذا الدكان لاقتناء قليل من الفحم.

نجمة... من الذهب الخالص

قصة : ميساء الرخيص

النجوم قناديل تشعّ في السماء، لكنه لم يكن يرى غير نجمها المتلألئ في ليل قلبه الدامس... كانت نجمته الوحيدة، ولم يكن يعترف بغيرها من النجوم... كان نورها النور الوحيد في ظلمات نفسه، ولم يكن يرى غيره من الأنوار...

كانت نجمته، كانت نوره، كانت بصيص الأمل الوحيد في نفسه، كانت رفيقة نفسه وخليلة قلبه، تعابته، نحادثه، وتقوده بين المتاهات... متاهات الحياة... معها. لم تعد المتاهات متاهات، ولا الظلمات ظلمات، فقد بنرت الأزهار في المتاهات فعبقت بها روائح الياسمين، وأصبحت رياضاً... وقد أشعت بنورها، فبددت الظلمات... لو بقيت المتاهات متاهات، لو بقيت الظلمات ظلمات، لتاه في الحياة، لأشفاق إلى النور، لذا كانت سبب وجوده... وكان يعترف بذلك...

كان يردد اسمها آنذاك، كان قلبه ينبض بنظراتها، وكان طيفها يلوح أمامه... كانت روحهما متعانقتين، انصهرتا في روح واحدة...

كانا وحيدين في عالمهما حين فاجأهما الموت... متطفلاً جاء ليترد لذة اللقاء... جمدت روحهما كل يتساءل هل سيشي بهما... لكنه خطفها منه، خطفها من بين ذراعيه، خطفها من قلبه، واجتث ذكراها من نفسه... بقي جامدا يبحث عنها فلم يجدها...

نادى اسمها مرات عديدة، استغاث بها من الجمود... لكن الموت هرب بها إلى عوالم لا يعرفها أحد ولم تعرفه نجمته بها...

أظلمت الدنيا، واختفت كل النجوم، الكلّ ذهب للعزاء... أما هو فلم يتمكن حتى من مغادرة المكان، فكان يبحث عنها، عن نظرائها، عن ثغرها الباسم، عن ذكراها... كان يبحث عن المكان الذي أخذها إليه الموت، عن هذا الجهول...

فكان البحث... وهو لم يفارق جموده... لم يتمكن حتى من استجماع ملامحها ولا تركيب صورتها، فقد اختفت ذكراها من نفسه...

... نجمته، انطفأ نورها، وحملت روحها بعيداً عنه... تساءل: "من سيتعهد الزهور برياضها؟ من سيستشق روائحها؟ ثم من سيضيء قلبه؟ من سينير ظلماته؟" ستذبل الزهور، ستذبل كما ذبلت نجمته... ستتهي الرياض، ستعود المتاهات في حياته... سيظلم قلبه،

سيشتاق إلى النور... تسرّب اليأس إلى نفسه، فرحّب به قلب اختفى منه نور نجمة مشعة... ولم تطرده نظرة تائهة شاردة ملت البحث... فاستقرّ اليأس وطرّد بصيص أمل كان يرافق كل ليلة تتعدد بنجومها...

إنّها النهاية... نهاية كل نور يشع ويدّد الظلمات، نهاية كل حياة تأتي مكان الموت، نهاية كل ابتسامة تفتكّ منصب الدموع الحارقة... فلن يسكت الظلام، ولن يهدأ بال الموت، ولن تستسلم الدموع، سينتقمون من النور، من الحياة، من هذه الابتسامة الآملة، وكان الانتقام من نجمته، بنجمته المشعة النيرة...

مرّت مذبة العزاء... فعادت النجوم إلى السماء، ولكنها فقدت إشعاعاً كانت تستقيه من نجمته، وعاد البدر يسقط ثقله عليهم... فقد اختفت من كانت تنافسه عرش مملكة الليل... وبقي هو تائها بين الظلمات، جامدا يبحث عن مخرج من المتاهات...

جمدت فيه الحياة، فهل هو للموت خطف روحه كما خطف روح نجمة أشعت في قلبه؟ أم هو هذا الخوف من المجهول الذي تمكّن به؟ أم الشكوى من اختفائها واستبداد اليأس به؟ لا يدري، قد تكون كل هذه الأسباب مجتمعة وقد لا تكون أي منها. ثمّنى أن يتخلص من هذا الجمود... ثمّنى أن تعود إليه نجمته، ثمّنى أن تنتصب على عرش

السماء في ليل قلبه... غمى... غمى... غمى بقلبه... لم يتمكن حتى من
التمني بلسانه... فقد كان لسانه جامدا... جامدا بسترجع ذكرى
قبالات بادلته إياها قبل الوداع... قبل الموت... قبل الجمود... خلد
للنوم، أغمض جفنيه على أمل أن يرى طيفها في المنام، غادرت روحه
جسده باحثة عن روحها...

كانت تلبس ثوبا أبيض ناصعا، كان شعرها الأشقر يحيط بوجه
مشرق عاد إليه إشعاع النجوم، كانت رفيقاتها يتبعنها، كن يتجوكن في
السماء، فيضن الليل الدامس... كانت تستعيد ذكرى حياة لها في هذه
السماء المظلمة... رآها... لاحت له ابتسامتها من بعيد، عرفها رغم
كثرة النجوم في تلك الليلة... تسرب نورها السماوي إلى قلبه فنادى
باسمها... ودعت السماء ونزلت إليه... كانت تضحك... تضحك...
وتضحك... ضحك معها... ضحكا الليلة بأسرها... ضحكا للقاء...
ضحكا من النجوم اللاتي حسلتكما... ضحكا دون قيود... ضحكا
للضحك فحسب... بانت أول أنوار الصباح... فطبتعت قبلة على
جبينه... ثم اختفت... اختفت دون أن تعطيه عنوانها، ولا أن تحدّد
موعدا آخر... اختفت وتركته وحيدا... هل كان ذلك خلما؟ أم كانت
زيارتها حقيقة؟ لم يكن يعرف... ولم يكن ذلك يهمه... إذ سواء في

الحقيقة أو في المنام، فروحهما تلاقتا، تسامرتا وضحكتا... وهذا ما كان يهمة ويخفف عنه حدة الجمود...

كان يعرف أنهما باللقاء تحدياً سلطة الموت... كان يعرف أنه سيستشيط غضباً لما يعلم الأمر... ولكن ذلك لن يغير شيئاً... فهو لا يأبى بغير نجمة سرق من السماء... وبغير قلب أشعت فيه بنورها...

كان ينتظر غياب شمس كانت تحول أمام لقاء نجمته، ولكن النهار كان طويلاً... والشمس استعذبت الجلوس على عرش السماء... لم يكن بإمكانه أن يطردها، وإلا... لفعلها... إذ كان ينتظر على أحرّ من الجمر هذا الستار الذي يسدل على السماء... إذ كانت السماء آنذاك في حاجة القناديل تعلقها... وكان ينتظر بنجمته... فقد تعلقها السماء...

بقي الليل بأسره يراقب السماء... ينتظر قدومها، كان يبحث عن نجمة تلبس ثوباً أبيض وترقص بين السحاب... لكنها لم تأت... أراد أن يسأل عنها نجمات أخريات، لكنهنّ لم يجبنه... بل تمسكن بالصمت... عرف أنهما لن تأتي ثانية... لا في الحقيقة ولا في المنام... أراد أن يصيح، أن يغضب، أن يشتم الموت، أن يضربه... أراد أن يخرب ما

حوله، أن يقضي على النجوم كما قضي على نجمته... لكنه كان
جامدا...

فقد حمد قلبه، حمد جسده، حمدت عيناه محلقتان في السماء...
حمد لسانه وهو ينادي اسمها... ظهر الموت، متبخترا، معتزا بروح طاهرة
سيقبضها... تحطف روحه من جسده الجامد... ذهب بها إلى السماء...
إلى السماء البعيدة...

نزلت النجوم لتدفن هذا الجسد الطاهر الجامد...

فتحن باب قلبه... قلبه المظلم...

فوجدن نجمة...

فوجدن نجمة من الذهب... نجمة من الذهب الخالص...

